دورُ النخبةِ السياسيَّة والمثقفِ السياسيّ في التحوّلِ الديمقراطيَ (العراقُ أنموذجاً)

هبة علي حسين*

باحثة في مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجيّة

* باحثة من العراق

المُقدمة

إن نجاح الديمقراطية مرتبطٌ أساسا بتوفر العديد من العوامل السياسية، والإقتصادية، والثقافية. لذا فإنّ وجود النُخَبِ في النظم الديمقراطية أمرٌ واجبٌ، إذ إن مفاهيم الديمقراطية لا تتجذّرُ عند جميع الناس بل عند قلة منهم، وهؤلاء يجب عليهم حمايةُ هذه المفاهيم، وإقناعُ الآخرين بها. إن عملية التحول الديمقراطي تحتاجُ الى نخبة فكرية ديمقراطية، لها حضورُها القويٌ والفاعلُ على الساحة الشعبية وفي الدولة، لذلك يقعُ على مثقفي العراق دورٌ هامٌ في توصيل فكرة الحوار وثقافتها وأبعادها ونتائجها وأدواتها لأعلى المستويات من قيادات العملية السياسية في العراق لأبسط إنسان، كما على مثقفي العراق أن يبحثوا عن طريق المساهمة الفعّالة في حياة المواطن. لذلك سوف نتناول في هذه الدراسة مبحثين: المبحث الأول يتناول دورَ النخبة السياسية والمثقف السياسي في بناء الديمقراطية، أما المبحثُ الثاني يتناول النخبة السياسية والتحول الديمقراطي في العراق.

المبحث الأول: دور النخبة السياسيَّة والمثقف السياسي في بناء الديمقراطيَّة:

يُعدُّ تعميقُ الوعي السياسي لدى أفراد المجتمع أحد عوامل الاستقرار الإجتماعي والسياسي الذي سينعكس حتماً على التطور العمراني والسياسي، فالاستقرارُ السياسي يعتمدُ على الثقافة السياسية،إذ إنَّ التجانسَ الثقافي والتوافقَ بين ثقافة النخبة والجماهير يساعدان على الاستقرار، أما التجزئةُ الثقافية بين عقلية النخبة وعقلية الجماهير، فتمثّلُ مصدرَ تهديدٍ لاستقرار النظام السياسي.[1]

(1) رشا رعد حميد، النظم السياسية والسياسات العامة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، 2014، ص156.

قبل الحديث عن دور المثقف السياسي في عملية التحول الديمقراطي ونشر الوعي السياسي في العراق لا بدَّ من تحديد مفهوم النخبة السياسية والمثقف السياسي.

أولاً: النخبة السياسية

وردت تعاريفُ كثيرةٌ للنخبة، لكنَّها اُستخدمت أول مرة في القرن السابع عشر من لدى أصحاب المتاجر لوصف البضائع ذات الصفات المتميزة لديهم، وبحلول نهاية القرن أصبح هناك استخدامٌ أوسعُ للمصطلح، وبالتدريج وفي القرن التاسع عشر تمَّ توسيعُ المصطلحِ، واستخدامُهُ من المحللين السياسيين، والإجتماعيين للإشارة الى الفئة الحاكمة او الفئة المهيمنة، وبعد ذلك أخذَ المصطلحُ يُشيرُ الى الأشخاص الذين يقفون على قمة الهياكل الإجتماعية الأساسية لمجتمعٍ ما.هناك مَن عَرَّفَ النخبةَ «بكونها الأقلية داخل اي تجمّع اجتماعي مثل المجتمع، والدولة، والحزب السياسي»، أو هي «أية جماعة تمارس نفوذاً متفوقاً داخل المجتمع».[2]

(2) دينا هاتف مكي، النخبة ودورها السياسي في الوطن العربي منذ الاستقلال – دراسة حالة العراق ومصر، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2005، ص8.

كما إن كلمة النخبة واحدة من المصطلحات الأكثر عموميةً التي استخدمتها الدراسات السوسيولوجية الوصفية، إذ تشير الى أيِّ مجموعة او فئة مالكة للقوة، والنفوذ، والمؤهلات، والإمتيازات.» وينتمي لهذه الفئة السياسيون او القساوسةُ، والأذكياءُ والمجرمون، والناجحون، ويمكن إتّباعُ اسلوب أفضلُ من هذا بتضييق نطاق هذا المفهوم والنظر الى النخب بعدّها تتميزاً عن الأنواع الأخرى من الفئات الإجتماعية بامتلاكها نوعاً ما من أنواع القوة.[3]

(3) جون سكوت، علم الاجتماع: المفاهيم الأساسية، ترجمة: محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2009، ص362.

والنخبةُ هي «مجموعة من الأفراد الذين يقودون المجتمع» وهي بهذا المعنى مفهومٌ قديمٌ ارتبط تاريخياً بالحاجة الى تنظيم ممارسة السلطة وعملية صنع القرار. فنجد على سبيل المثال أن كلاً من افلاطون وارسطو قد تعرضا لفكرة النخبة، فتحدث افلاطون عن حكم الفلاسفة بوصفه أصلحَ أنواعِ الحكم، في حين ركّز ارسطو على مزايا حكم الطبقة الوسطى لإعتدالها. ومن بعد تنوّعت مساهمة الفلاسفة والمفكرين بشأن تحديد مصادر قوة النخبة، فذكر «سان سيمون» أن كل عنصر يفرز النخبة المناسبة له سواءاً كانت عسكرية، ام دينية، ام اقتصادية، وأكد «اوغست كونت» صلاحيةَ النخبة الارستقراطية العلمية، وعلى هذا قام بالتمييز بين ما أسماه بالسلطة الدينية والسلطة الزمنية.[4]

(4) نقلاً عن: علي الدين هلال ونيفين مسعد، النظم السياسية العربية: قضايا الاستمرار والتغيير، ط5، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010، ص161.

تتألف النخبة السياسية من «أولئك الذين يملكون مقاليد القوة في أي جهاز سياسي، وهؤلاء يشملون القيادة، والتشكيلات الاجتماعية التي أتى منها هؤلاء القادة، والتي من خلالها يتمُّ تقدير، وحساب كل شيء خلال مدة زمنية معينة».

وتُعرف النخبة بأنها «جماعة صغيرة داخلة في نطاق الطبقة السياسية في المجتمع خلال مدة زمنية معينة، فهي تشمل كبار الموظفين والإدارات العليا، والقادة العسكريين، وفي بعض الأحيان الأسرَ ذاتَ النفوذ السياسي كالأسرة الارستقراطية او الملكية، هذا فضلاً عن أصحاب المشروعات الإقتصادية الكبرى».[5]

(5) توم بوتومور، الصفوة والمجتمع، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص ص31ـ32.

ينطلقُ «باريتو» في تفسيره النخبة من فكرة التمايز، أي عدم المساواة في قدرات الأفراد، إذ يجعل من تلك الفكرة مبدأً ثابتاً لتوصيف حالة انقسام المجتمع، التي ينظر إليها كمسألة حتمية لا مناصَ منها، ويذهب الى أنه يُمكِنُ التمييزُ بين فئة من الناس، وأخرى فيما يتعلق بإمكاناتها، ونشاطاتها بجملة من المؤشرات المتعلقة بالقدرات الجسمانية والعقلية، مثل المهارات، والذكاء، وغيرها بما يسمح المجال أمام جماعة ما تمثل أقلية لإحتلال مكانة اجتماعية عالية.[6]

(6) مولود زايد الطبيب، علم الاجتماع السياسي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2007، ص193.

كما يشير مصطلحُ النخبةِ في معناه العام الى جماعة من الأفراد يشغلون مراكزَ النفوذ، والسيطرة في مجتمع معيّن، وتُمثّلُ النخبةُ أكثرَ الطبقاتِ هيبةً، واثراً، ويشير المصطلح الى الفئة العليا في أحد ميادين التنافس، إذ ان النخبة تضمُّ البارزين والمتفوقين بالقياس الى غيرهم، ما يجعلهم قادةً في ميدان معيّن، بذلك يُمكنُ أن نشير الى نخبة سياسية، ونخبة في العمل، ونخبة في الفن، ونخبة علمية، ونخبة اقتصادية الى غير ذلك من الميادين.[7]

(7) مولود زايد الطبيب، مصدر سبق ذكره،، ص189.

ثانيًا: المثقف السياسي

المثقف في اللغة «ثَقْف وثَقِفَ وثَقف» وتثقيف كلمة من أصل الفعل الثلاثي (ثقف) بمعنى حاذِق، فاهِم، ضابِط لما يحويه، ذو فطنة، وذكاء. المعنى الأدق للمثقف وهو ما تحقق فيه معنيان: التفوق الفكري الذي يؤهّله للمعنى الثاني وهو التقويم، والتهذيب، ولعلَّ هذا المعنى أدقُّ في وصف هذه الفئة، لأن الجهد التهذيبي عنصرٌ أساسٌ في شخصية المثقف، ولفظةُ مثقف عرَبيةٌ، وخلاصة ما تدل عليه هذه الكلمة أنّها تعني أصحاب الجهدِ الفكري في مقابل أصحاب الجهد اليدوي.[8]

(8) عبد الرحمن الزنيدي، المثقف العربي بين العصرانية والاسلامية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، 2012، ص8.

بينما عرّف «أحمد مجدي حجازي» المثقفَ بأنه «ذلك الشخصُ الذي أُوتيَ حظاً من المعرفة العامة تشكّل، وتطوّر خلال خبرة الممارسة اليومية أو من خلال خبرة الصراع مع الحياة المعيشية، هذا القدر المعرفي الذي يتيح له توصيفَ قضايا مجتمعة يدفعه نحو إيجابية توظيف هذه المعرفة في تحليل المجتمع ونقده وما يقابله من قضايا مساهماً في وضع بدائل النظام القائم او وضع حلول عملية تنبوية لمجتمعه».[9]

(9) نقلا عن: دينا هاتف مكي، النخبة ودورها السياسي في الوطن العربي منذ الاستقلال: دراسة حالة العراق ومصر، أطروحة دكتوراة (غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2005، ص78.

ويذهب «هشام شرابي» في تعريفِه المثقفَ بأنه «المستوعب للثقافة، وانه يتميّز بصفتين هما الوعي الإجتماعي الذي يُمَكِّنُ الفردَ من رؤية المجتمع، وقضاياه من زاوية شاملة، وتحليل القضايا على مستوى نظري متماسك، والدور الإجتماعي الذي يمكن ان يؤديَه وعيُه الإجتماعيُّ، فضلاً عن القُدُرات الخاصةُ التي سيضيفها عليه اختصاصُهُ المهنيُّ او كتاباته الفكرية». ويوظّف «عزيز السيد جاسم» الوعيَ أيضا في تعريفِه المثقفَ بالقول هو «محبذ الوعي الى المسافات البعيدة خارج حدود القناعات السهلة والموافقات الكسولة، وإزاء أحداث لا يمكن الا ان يكون مشاركاً فيها او ضدها بشكل او بآخر».[10]

(10) نقلاً عن: رهبة أسودي حسين، المثقف والسلطة في العراق (1921 ـ 1958)، دار الشؤون الثقافية العامة، 2003، ص22.

المثقف هو الإنسانُ الذي يمثّل القيّمَ العليا لثقافة مجتمعه ويمثل دوره في متابعة الظواهر السلبية التي يعاني منها المجتمع، وايجاد المعالجات الضرورية لتلك الظواهر، وفقاً لمعيار، ومحددات المجتمع، والمثقف اليوم أمام مسؤولية تاريخية للنهوض بالواقع الفكري والسياسي لمجتمعه إذ تكون قراءته للأحداث وتفسيرها من زاوية فكرة بعيدة عن ردود الأفعال، والعواطف الآنية وإعتماد العقلانية، والتفكير العلمي أساساً منهجياً، فضلاً عن جعل الديمقراطية، وقبول الآخر الاختيار الاستراتيجي لتنظيم التعايش في المجتمع.[11]

(11) زيرفان سليمان البرواري، الوعي السياسي وتطبيقاتة (الحالة الكردستانية نموذجا)، مطبعة خاني، دهوك، 2006، ص37.

في الفكر الغربي وردت تعريفات عدّة للمثقف فيرى «ماكس فيبر» أن المثقف هو: «الشخص الذي تُمَكِّنُهُ صفاتُه الخاصةُ من النفاذ الى منجزات لها قيمة ثقافية كبرى». ويرى «بارسونز» أن المثقف هو «الشخص المتخصص في أمور الثقافة ويضع إعتباراتها فوق الإعتبارات اليومية المعتادة»، بينما يرى «لوس فوبير» ان المثقف هو «المتعلمُ والمهني من الطبقة الوسطى الذي يختلف عمن يعمل في الصناعة والتجارة من الطبقة العليا والطبقة الدنيا». بينما يرى «إدوارد شيلز» أن المثقف السياسي هو: «الشخص المتعلم الذي لديه طموح سياسي إما مباشرة بالسعي لكي يكون حاكماً لمجتمعه، او طموحات غير مباشرة للسعي الى صياغة ضمير مجتمعه والتأثير في السلطة السياسية في صياغة القرارات الكبرى».[12]

(12) نقلاً عن: مصطفى مرتضى علي محمود، المثقف والسلطة، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص25.

ويرى «روبرت ميشل» أن للمثقفين القدرة على صياغة أحكام على المواقف المختلفة من خلال مفهومة المثقف الذي يقول فيه المثقفون هم: «اولئك الأشخاص الذين يمتلكون المعرفة الموضوعية ومع تأملاتهم الذاتية يصوغون أحكامهم عن الواقع، دون ان يستمدوا هذه المعرفة الموضوعية من خبراتهم الحسية». إما «جوليان بند» فيعرّف المثقفين بـ: «أنهم الذين لا يهدف نشاطهم اساساً الى أغراض

عملية، فهم ينشدون السعادة في ممارسة فن ما أو علم ما». فيبعد «جوليان بند» الإغراض العملية عن نشاطات المثقف الفكرية والفنية.[13]

وحدّد «ليبست» المثقفين بوصفهم «من يبدع ويوزع ويمارس الثقافة، أي العالم الرمزي الخاص بالإنسانية والذي يتضمن الفن، والعلم، والدين». أما «كوزر» بدوره فقد حدّد المثقفين بوصفهم «الأفراد الذين يَعْنُون بالقيم المركزية في المجتمع أو أنهم من يُولي إهتمامه للعالم الرمزي الذي تؤسسه الثقافة».[14]

وعرَّف قاموسُ العلوم السياسية، المثقفَ بأنه «شخص التأمل والتفكير او شخص القدرات الفكرية العالية الذي كرَّس نفسه للدراسة والتأمل، وبصورة خاصة القضايا العميقة، انه الشخص الذي يسترشد بالعقل والفكر بدلاً من العواطف، وينغمس في الأعمال الفكرية والإبداعية وبصورة خاصة في حقول العلم او الأدب او الفن بدلاً من العمل اليدوي».[15]

يعرّف المثقفون بأنهم: «مجموعة من الأشخاص الذين تمكنهم قدراتهم ومواهبهم الخاصة من النفاذ الى منجزات ذات قيمة ثقافية».

ويعرف المثقفون ايضاً «بأنهم اولئك الاشخاص الذين يمتلكون المعرفة وعلى أساس هذه المعرفة الموضوعية، وتأملاتهم الذاتية يصوغون أحكامهم عن الواقع، دون ان يستمدوا هذه الأحكام مباشرة او بالضرورة من خبراتهم الحسية». كما يعرف المثقفون بأنهم «ذلك القطاع من بين قطاعات المتعلمين الذين لهم طموحات سياسية، اما مباشرة بالسعي الى صياغة ضمير مجتمعهم والتأثير في السلطة السياسية في اتخاذ القرارات الكبرى».[16]

ويشمل المثقف جميع الذين يشتغلون بالثقافة إبداعاً، وتوزيعاً، وتنشيطاً، الثقافة بوصفها عالماً من الرموز تشمل الفن، والعلم، والدين، والذين يمكن التمييز بينهم بين نواة تتكون من المبدعين والمنتجين من علماء وفنانين وفلاسفة وكتاب وبعض الصحفيين، يحيط بها اولئك الذين يقومون بنشر ما ينتجه هؤلاء المبدعون مثل الممارسين لمختلف الفنون ومعظم المعلمين والأساتذة والصحفيين يليهم ويحيط بهم جماعة تعمل على تطبيق الثقافة من خلال المهة التي يمارسونها مثل الاطباء والمحامين».[17]

إما تحليلُ «غرامشي» الإجتماعي للمثقف كإنسان ينجز مجموعة معينة من الوظائف في المجتمع، هو أقرب بكثير الى الواقع، وبخاصة في أواخر القرن

(13) نقلاً عن: رهبة أسودي حسين، المثقف والسلطة في العراق (1921 ـ 1958)، مصدر سبق ذكرة، ص22.

(14) نقلاً عن: جيرار ليكرك، سوسيولوجيا المثقفين، ترجمة: جورج كنورة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2008، ص18.

(15) افراح فلاح شيرا، دور المثقفين في التحولات الاجتماعية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية القانون السياسية، جامعة بغداد، 1979، ص66.

(16) جعفر نجم نصر، النخبة المؤدلجة: المثقف الاكاديمي العراقي والسلطة السياسية (1968 ـ 2003)، مجلة العميد، العدد (7)، بغداد، الجامعة المستنصرية، ايلول/ سبتمبر 2013، ص199.

(17) دينا هاتف مكي، مصدر سبق ذكره، ص79.

العشرين عندما ثبتت رؤيةُ غرامشي بظهور مثل هذا العدد الكبير من المهن الجديدة من المذيعين، ومحترفي العمل الآكاديمي، والمحللين في مجال الكومبيوتر، والمحامين المختصين بشؤون الرياضة، ووسائل الإعلام، والمستشارين الإداريين وخبراء السياسة، ومستشاري الحكومة، وغيرها فكل من يعمل اليوم في أي حقل مرتبط بانتاج المعرفة او نشرها هو مثقف.[18]

(18) نقلاً عن: أدوارد سعيد، صور المثقف، ترجمة: غسان غصن، ط3، دار النهار، بيروت، 1997، ص26.

ويميّز «غرامشي» بين صنفين من المثقفين، هما المثقف التقليدي، أي المثقف الذي تكون ثقافته متوارثة عبر الأجيال، مثل الأطباء، والمهندسين والفنانين، وغيرهم أي انهم يمتلكون أيديولوجية متوارثة من جيل الى آخر. والمثقف العضوي وبحسب «غرامشي» هو «ذلك المثقف الذي يمتلك قدرة فعالة في مواجهة أزمات معينة ووضع الحلول لها من خلال دراسة الأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والمثقف العضوي هو الذي يؤثر في توجيهات المجتمع بشكل ايجابي، اي بشكل موضوعي يقع الفائدة، وليس الضرر على أفراد مجتمعه اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً.[19]

(19) بشير أسوادي عبد علي، الفكر السياسي عند غرامشي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2014، ص119.

ويرى غرامشي ان المثقف العضوي هو الذي ينتمي الى شريحة او شرائح المثقفين الذين يزودون طبقة اجتماعية معينة بتجانسها وبوعي وظيفتها الخاصة لا في المضمار الإقتصادي فحسب وانما في المضمار السياسي والإجتماعي ايضاً، وعليه فإن المثقفين العضويين هم الذين يتولون مهام[20]:

(20) نقلاً عن: عبد الرضا حسين الطعان وعامر حسن فياض وعلي عباس مراد، إشكالية السلطة في تأملات العقل الضريبي عبر العصور، ط1، دار الكتب والوثائق، بغداد، 2012، ص ص471 ـ 472.

اولاً: تنظيم الوظيفة الاقتصاديَّة للطبقة التي يرتبطون بها.

ثانياً: تبرير الهيمنة التي تمارسها الطبقةُ السائدةُ في المجتمع المدني عبر مختلف الهيآت الثقافية.

ثالثاً: تنظيم الإكراه الذي تمارسه الطبقة السائدة على سائر الطبقات بوساطة الدولة، إذ يأتي منهم الوزراء وكبار موظفي الدولة.

رابعاً: تزويد الطبقة التي يرتبطون بها عضوياً بالوعي بمصالحها وتصورها المتجانس والمستقبل للعالم.

كل إنسان مثقف الى حد ما، بمعنى أنه يشارك في رؤية شاملة، ويشير «غرامشي» الى هذا المعنى الواسع للمثقف عندما يكتب حول تغيير العلاقة بين الجهد العقلي وذلك العضلي في سبيل خلق توازن جديد ونوع جديد من المثقف المنهمك فعلاً في الحياة العملية، جامعاً تقنيةَ الاختصاصي بالعلم وبالإنسانية ويصبح بذلك قائداً اختصاصياً وسياسياً.[21]

(21) انطونيو غرامشي، الأمير الحديث: قضايا علم السياسة في الماركسية، ترجمة: زاهي شرفان وقيس الشامي، دار الطليعة، بيروت، 1970، ص171.

أمَّا المثقف التقليدي عند «غرامشي» فهو: «المثقف المرتبط بجماعة يمكن ان تبدو بوصفها جماعةً تقليديةً قائمةً بذاتها ويتمُّ تصنيفه بعدّه مرتبطاً بطبقة زائلة او في طريقها الى الزوال» إذ إن كلَّ مجموعة اجتماعية – سياسية تَظهرُ في لحظة تاريخية معيّنة تكون في الأصل نتاجاً لأحد التطورات الحاصلة في البنية الإقتصادية الإجتماعية السابقة، فإن هذه المجموعة تجدُ في التاريخ وبالشكل الذي دارت فيه عجلته لغاية هذا اليوم أضعافاً من المثقفين وجدوا قبلها أي قبل المجموعة الإجتماعية الأساسية وظهروا بعدّهم ممثلي الاستمرارية التاريخية التي لم تقطعها التغييرات الأكثر تعقيداً او الأكثر جذرية التي طرأت على الأشكال السياسية والإجتماعية.[22]

وتبعاً لذلك فإن المثقف عند «غرامشي» يتحدّد انطلاقاً من أدائه لوظيفة اجتماعية فهو (عضوي) في علاقته المباشرة بالفئات الإجتماعية التي تسيطر على الاقتصاد، وذلك من خلال أدائه وظيفةً إجتماعيةً سواء في الحقل الاقتصادي أم على المستويين الإجتماعي، والسياسي، ومن ناحية أخرى يوجد المثقف (التقليدي) وعلاقته بالفئة المسيطرة غير المباشرة، فعضويته تنتمي الى طبقة أخرى رحلت تاريخياً.

بمعنى آخر فالمثقفُ العضوي هو مثقف مؤسسي، والتقليدي على علاقة غير مباشرة بالمؤسسات ويشكّل المثقفون جزءاً من نظام الدولة بسبب وضعهم داخل الأجهزة الايديولوجية للدولة، كما انهم يرتبطون بالمجتمع المدني من خلال دورهم معبرين إجتماعيين للجماعات الإجتماعية المختلفة لذلك يمكن عدُّ المثقفين موظفين لدى الدولة، وايضاً معبرين ايديولوجيين للمجتمع المدني.[23]

ويُعدُّ كلُّ مَن يعمل اليوم في أي مجال يتَصل بِنتاج المعرفة، او نشرها مثقفاً بالمعنى الذي حدَّده غرامشي. وقد ذكر عالمُ الإجتماع الأمريكي «الفين جولدنز»: «أن المثقفين اصبحوا يشكّلون الطبقة الجديدة، وان المديرين المثقفين قد حلّوا الى درجة كبيرة محل الطبقات القديمة التي كانت تتمتع بالأموال، وبالممتلكات كما ان المثقفين في غضون صعودهم لم يعودوا اشخاصاً يخاطبون الجمهور العريض بل أصبحوا افراداً ينتمون الى ما يسميه ثقافة الخطاب النقدي اي اصبح لهم لغتهم الخاصة او المتخصصة».[24]

ويربط «أدوارد شيلز» بين تعريف المثقفين وبين طموحه السياسي فيقول «ان المثقف هو الشخص المتعلم الذي لديه طموحٌ سياسيٌ أما مباشرةً بالسعي لكي يكون حاكماً لمجتمعه او طموحه غير المباشر للسعي الى صياغة ضمير مجتمعه، والتأثير في السلطة السياسية في صياغة القرارات الكبرى».[25]

(22) عبد الرضا حسين الطعان وعامر حسن فياض وعلي عباس مراد، أشكالية السلطة في تأملات العقل الضريبي عبر العصور، دار الكتب والوثائق، بغداد، 2012، ص472.

(23) نقلاً عن: نادية رمسمس فرح، غرامشي وقضايا المجتمع المدني، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، 1991، ص324.

(24) نقلاً عن: أدوارد سعيد، المثقف والسلطة، ترجمة: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006، ص40ـ ص41.

(25) نقلاً عن: مصطفى مرتضى علي محمود، مصدر سبق ذكره، ص25.

ليس ثمةَ حواجزُ فاصلةٌ بين وظائف المثقف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وبين دوره محققَ تجانسٍ، وفي الأغلب، يحقق المثقف قدراً أعظمَ من التجانس في وعي الطبقة التي يرتبط بها عضوياً، عن طريق الوظائف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي يمارسها، وعليه ان الطبقة الفرعية او التابعة التي لا يستطيع، بحكم المكانة التي تشغلها في نمط محدد للانتاج، أن تطمح الى قيادة المجتمع لن تنتج في غالب الأحيان سواء مثقفين على المستوى الاقتصادي الحرفي، وسيكون وعيها للعالم بالتالي ملفقاً من عناصر شديدة التباين وفي القطب المقابل سيكون للطبقة السائدة مثقفون متخصصون لجميع الوظائف وستفوز ومن ثم يتصور للعالم يتمتع بقدر كبير من التجانس.[26]

(26) جان مارك بيوتي، فكر غرامشي السياسي، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، 1975، ص ص23 ـ 24.

كما أن وظيفةَ المثقف في أي مجتمع في المقام الأول وظيفةٌ اجتماعيةٌ نقديةٌ، فهو انسان صناعته الفكر والحوار الهادف وزرع الأمل ومحاربة اليأس وتعميق الوعي لدى أبناء المجتمع. ولذلك يأمل المثقف باستقلاله في التفكير وحريته في التعبير ان يستثير في مجتمعه الرغبة في التغيير والنزوع الى التحول الاجتماعي، فهو الذي يستطيع ان يصارح الجماهير وان ينبهها الى ما قد تتعرَّض له من أخطار ويجعلها مهيأة لفهم القرارات التي تتطلب التضحيةَ والبذلَ والعطاءَ. وفي مرحلة النضال- للتخلص من الإستعمار والحصول على الاستقلال- يؤدي المثقفون دوراً اساسياً بل يتحول البعض منهم الى سياسيين لقيادة هذا النضال، ولم يقتصر دور المثقفين في هذه المرحلة على إثارة المشاعر والتعبير عن الرغبة في التجديد ولكن خرج من بين صفوفهم معظمُ الزعاماتِ السياسية الحزبية والتعليمية والصحفية والاجتماعية والاقتصادية نواةً للمجتمع الجديد.[27]

(27) محمود محمد كسبر، التاريخ بين السياسة والاجتماع (رؤية سوسيولوجية)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1987، ص238.

ويؤدي المثقفون دوراً خاصاً في تنظيم الهيمنة الاجتماعية وسيطرة الدولة، انهم ليسوا اكثرَ من موظفين لدى الجماعة المسيطرة، وخبراءَ في إضفاء الشرعية على الكتلة الحاكمة وهذا ما استدعى غرامشي الى لَحْقِ صفة العضوية بالمثقف ليضطلع المثقف بعد ذلك بمسؤولية نِتاج وإعادة نِتاج المعرفة وفقاً لتصورات الطبقة التي يرتبط بها ويصبح عندها المثقف العضوي المعبر الايديولوجي عن الجماعة والطبقة الاجتماعية المرتبطة بها.[28]

(28) رضوان زيادة، المثقف ضد السلطة: حوارات المجتمع المدني في سورية، مركز القاهرة للدراسات حقوق الانسان، القاهرة، 2005، ص100.

ويؤثّرُ نظامُ الحكمِ القائمِ في طبيعة المثقفين، فهم يذعنون ويخفضون رؤوسهم إذا كان الحكمُ صارماً، ولكنَّهم يملأون الدنيا ضجيجاً وصخباً اذا كان متراخي القبضة يقبل الأخذ والرد، هذا من جهة، ومن جهة اخرى فإنهم يعيشون مجدَ بدلهم. ولذلك

تراهم يتسامحون الى حد ما في سوء الحال الاقتصادي وفساد النظام، ولكنهم لا يتسامحون ابداً اذا كان هنالك ما يشير الى جرح كرامتهم الوطنية، وليس يعني هذا أنَّهم أكثرُ وطنية من غيرهم على إظهار ذلك بما يصورونه من وسائل التعبير والقدرة على التأثير في أذهان الناس.[29]

(29) Raymond Aron, theoplum of the intfplleectuals, the Norton, labarary, newyork, 1962, p.179.

وترجع صعوبة الوصول الى تعريف محدد للمثقف ومتفق عليه هو ان المثقفين لا يشكّلون طبقة مستقلة قائمة بذاتها، بل يتغلغلون في الطبقات المكونة للمجتمع، ويتحركون بحرية على سلم المجتمع صعوداً او هبوطاً، وعلى الرغم من تعدد تعريفات المثقف يمكن إرجاعُ هذا التعدد الى معيارين استند إليها الباحثون في تعريف المثقف، وهما معيار الثقافة، ومعيار الوظيفة او الدور.[30]

(30) محمد رياض وتار، شخصية المثقف في الرواية العربية السورية، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999، ص13.

المطلوبُ من النخب المثقفة ليس القيام بحركة سياسية واتخاذ مواقف سياسية معارضة للأنظمة القائمة، بل أن تتحمل مسؤولياتها في وضع الأنظمة أمام مسؤولياتها لتحقيق ما التزمت وتعهدت قانوناً بتحقيقه بحكم الاتفاقات الدولية، وأن تحشد النخب السياسية في سبيل جميع إمكاناتها المهنية والعسكرية، وفي إطار التأثير المتزايد لهذه النخبة في إحداث التغيير فإنها تقوم بوظيفة حفظ التوازن داخل المجتمع عن طريق اندماجها وتجددها الذي يكون التغيير محورها الأساس، وهي بتغيرها تقوم بقيادة عملية التغيير والتطور داخل المجتمع.[31]

(31) رشا رعد حميد، مصدر سبق ذكره، ص143.

على العراقيين بنخبهم من الساسة والمثقفين إدراك حقيقة ما يمكن ان تؤول اليه الأوضاع في المنطقة بعيداً عن الانفعالية التي تستند الى العواطف لا الى الواقع، وكما تتردد مطالبُ توحيد السياسيين صفوفهم وترك صراعاتهم جانباً لحماية وحدة البلاد ومستقبلها فإن الشيء ذاته تطالب به النخبُ المثقفةُ وصناع الرأي والمعنيون بضرورة التبصر العميق في النتائج وترك الانفعال والتخلي عن مراعاة مثاليات عاطلة عن العمل حين يتعلق الأمر بحاضر البلاد ومستقبلها وواجب النهوض بمسؤولية التحليل والتشخيص السليم ليفهم الجميع ما ينتظرهم.[32]

(32) ابراهيم حسيب الغالبي، أزمات العراق السياسية: مقالات في الشأن العراقي 2010 ـ 2013، مركز العراق للدراسات، بغداد، 2013، ص235.

فقد برزت في العراق نخبةٌ من المثقفين الذين تميّزوا بالنزعة العصرية، والأخيرة تعتمد في الواقع، مجموعة نزعات فكرية محددة تصبُّ في مضمونها بالنهاية في التأسيس للديمقراطية الليبرالية، بكلمة أوضح، ان النزعة العصرية بخصائصها الفكرية هي التي جعلت من هذه الفئة العصرية المثقفة فئةً مؤهلةً لتبني الديمقراطية الليبرالية والحماس لها.[33]

(33) عامر حسن فياض، 0«الاصول الفكرية للديمقراطية الليبرالية في العراق الحديث»، في ابتسام الكتبي وآخرون، الديمقراطية والتنمية الديمقراطية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2004، ص151.

المبحث الثاني: النخبة السياسيَّة والتحوّل الديمقراطي في العراق

لقد بات وجودُ النخب في النظم الديمقراطية أمراً واجباً كما يذهب الى ذلك البعض، إذ ان مفاهيم الديمقراطية لا تتجذر عند جميع الناس بل عند قلة منهم، وهؤلاء يجب عليهم حمايةُ هذه المفاهيم، والدفاع عنها، وإقناع الآخرين بها. وحتى تكون النخبة صاحبة تأثير وقدرة في إحداث التغيير نحو الأفضل يجب ان لا تكون مستوردة، وإنما تكون نتاجاً مجتمعياً، وتكون أفكارها منطبقةً من واقع المجتمع، وليست مبنيةً على ثقافات الآخرين، وتجاربهم، كما ان وجود نخبة حاكمة تدير مؤسسات الدولة بكفاءة يُعدُّ من أهم اولوليات خطة تحسين الدولة ضمن مفهوم الإدارة الرشيدة او الحكم الرشيد[34]*.[35]

ونجاح الديمقراطية مرتبطٌ اساساً بتوافر العوامل الأخرى السياسية والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية وهذا معناه ان الدولة الديمقراطية تعني دولة النخبة الوطنية ذات الثقافة العالية المخلصة لأداء مهامها خدمة للشعب، والوطن أي دولة العقل النيّر لأن العقل، وعلى مر التاريخ كان مصدرَ القوةِ، ومبعثَ النفوذِ، ومنطلقَ التقدم.[36]

إستناداً الى ذلك، فإن العراق، ومنذ عام 2003 يمرُ بمرحلةِ تحوّلٍ ديمقراطي، وشَهِدَ حراكاً سياسياً متصاعداً، أدّت به النخب دوراً، وكذا المثقف، وتبعاً لذلك يمكن تقسيم فئات المثقفين في العراق بعد التحول الديمقراطي في عام 2003 الى ثلاث فئات، الفئة الاولى ركزت على العملية الانتخابية والدستور وغيرها من الموضوعات التي لا تخرج عن إطار السلطة، أمَّا الفئة الثانية فيظهر دورُها بصورة أوضحَ عند الحديث عن علاقة المثقف بالسلطة، أمَّا الفئة الثالثة فيتمثل مثقفُها أنه غير راضٍ عن الأوضاع التي يعيش فيها، فيتسمُ نتاجُه بنقد أنماط الحياة، ومثقفو هذه الفئة يمثّلون أصواتاً شابةً تطرق موضوعات ينقصها التسلح بوسائل ثقافية تجسدها أفكارها بصورة صحيحة.[37]

كما شهد العراق بعد 2003/4/9 ظهورَ أول نمط من النخبة الحاكمة بعد التغيير عن طريق تشكيل مجلس الحكم، والذي أريد له تمثيلُ شرائح المجتمع العراقي، لإعطاء الشرعية لهذا المجلس، وما سيصدر عنه لاحقاً وعملياً فإن النخب بعد 2003 سواء من كانت في الحكم، أم خارج الحكم اتسمت جميعها بالرفض المطلق، او القبول المطلق للعملية السياسية في العراق.[38]

عملية التحول نحو الديمقراطية تحتاج الى نخب فكرية ديمقراطية، لها حضورها

(34) الحكم الرشيد: (هو ممارسة السلطة الاقتصادية والسياسية والادارية لتسيير شؤون بلد ما على كافة المستويات، ويشمل الحكم الآليات والعمليات والمؤسسات التي يقوم من خلالها المواطنون والجماعات بالتعبير عن مصالحهم، وممارسة حقوقهم القانونية، والوفاء بالتزاماتهم، وتسوية خلافاتهم، ويتسم الحكم الرشيد بأنهُ يقوم على المشاركة، وان يتسم بالشفافية، وان ينطوي على المساءلة، كما انه يتسم بالفاعلية، والانصاف، ويعزز سيادة القانون).
ينظر الى برنامج الامم المتحدة الإنمائي، ادارة الحكم لخدمة التنمية المستدامة، كانون الثاني/ يناير 1997، ص8، على الرابط:
http://www.wafinfo.ps/"
."pdf/G_0007.pdf

(35) اثير إدريس عبد الزهرة، واقع بناء الدولة الديمقراطية المدنية في العراق بعد العام 2003 ومستقبلها، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2013، ص143.

(36) زيادة جهاد حمد البياتي، مفهوم الديمقراطية والمجتمع المدني في فكر الاحزاب السياسية العراقية المعاصرة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2005، ص189.

(37) رهبة أسودي حسين، المثقف والتحول الديمقراطي في العراق، في (اشكالات التحول الديمقراطي في العراق)، بحوث الندوة العلمية السنوية التي نظمتها الجمعية العراقية للعلوم السياسية، العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2009، ص162.

(38) صباح ياسين، النخب العراقية في مواجهة الاستحقاق من بناء الدولة الوطنية استعادة الدور التاريخي، مجلة المستقبل العربي، العدد (395)، كانون الثاني/ يناير 2012، ص143.

القوي والفاعل في الساحة الشعبية وفي الدولة، نخب تحول الفكر الديمقراطي على شكل قبول ورفض في إطار سجال ومحاججة فكرية بين السلطة والمعارضة او على شكل معالجة سواء بالاضافة ام الإلقاء عبر نشاط وحضور فكري تحت إطار عمل سياسي تراكمي بحيث تتجلى الديمقراطية كنظام حكم وكوسيلة لفض النزاعات، وكطريقة لتبادل الرأي وكأسلوب للتفاهم على الحل الوسط والمقتربات بالحوار والعلانية والشفافية والتدريجية والشرعية و«صحافة» حرة.[39]

كما ان عملية التغيير يجب ان تسير على وفق منهج منتظم وتحت إشراف حكيم ونزيه، وهذا يحتاج الى نخب واعية تدرك ضرورة التحول والتغيير وتؤمن به وتخطط له، اي ان تكون النخب مستوعبة لسنن ومقترحات التحول الديمقراطي، وذات خبرة واطلاع على تجارب الشعوب.[40]

ومن المعروف أن التزام النخب السياسية بهدف تحقيق الديمقراطية وتبني أجندة من اجل تحقيق هذا الهدف يعدُّ من العناصر الحاسمة لإنجاز التحول الديمقراطي وضمان استمرارية المؤسسات الديمقراطية.[41]

لقد تمثّل دورُ المثقف العراقي في مرحلة التحول الديمقراطي ضمن الفئة الثانية لماهية المثقف في السعي الحثيث في ابتداع الوسائل في الحصول على السلطة. وحققت الأحزاب بتنظيماتها القومية والمذهبية طموح المثقفين في اتخاذه وسيلة للحصول على مناصب سلطوية ولاسيما ان هذه الأحزاب بحاجة الى وجوه ثقافية تعزز من قدرتها على خوض معارك إعلامية وجدلية حول قضايا متعددة تخلقها ظروفٌ آنيةٌ في أحيان كثيرة.[42]

ويقع على مثقفي العراق دورٌ هامٌّ في توصيل فكرة الحوار وثقافتها وأبعادها ونتائجها وادواتها لأعلى المستويات من قيادات العملية السياسية في العراق لأبسط انسان، كما على مثقفي العراق ان يبحثوا عن طرق المساهمة الفعالة في حياة الوطن.[43]

وهنا نجد ان دورَ النخبِ السياسيةِ العراقيةِ إيجابيٌّ في اعتمادهم الحوار لأن السبيل الوحيد لحل الصراع السياسي هو الوصول لطريق وتفاهم لإدارة الخلاف من خلال صيغة تفاهم او تراضٍ عامٍ، ومن الضروري ان تمرَّ النخبُ السياسية في عملها هذا مستقبلاً وخاصة في إشاعة قيم التسامح والمرونة والمصالحة والشرعية وذلك لن يكون طبعا الا من خلال اعتماد الديمقراطية ثم ان سيادة النخب التساومية المرتكزة على التعددية والرضا المتبادل واعتماد الانتخابات وتقديم الخيارات المتبادلة لحل الخلافات بالطرق الشرعية سيعمل على تجنيب العراق الكثيرَ من المشكلات.[44]

(39) فراس البياتي، التحول الديمقراطي في العراق بعد 3/9/ 2003، العارف للطباعات، بيروت، 2013، ص155.

(40) عزمي بشارة، (مدخل الى معالجة الديمقراطية وأنماط التدين)، في بهان غليون واخرون، حول الخيار الديمقراطي (دراسة نقدية)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1990، ص110.

(41) حسنين توفيق ابراهيم وعبد الجبار أحمد عبد الله، التحولات الديمقراطية في العراق: القيود والفرص، مركز الخليج للابحاث، 2005، ص33.

(42) رهبة أسودي حسين، المثقف والتحول الديمقراطي في العراق في (أشكالات التحول الديمقراطي في العراق)، بحوث الندوة العلمية السنوية التي نظمتها الجمعية العراقية للعلوم السياسية، العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2009، ص163.

(43) فاروق مجيد سلمان، العراق بين ثقافة التعصب وثقافة الحوار، الملتقى الفكري الاول للنخب العراقية، بغداد، تشرين الاول، 2009، ص7.

(44) عبد الجبار أحمد عبد الله، الانتخابات والتحول الديمقراطي في العراق، في (اشكالية التحول الديمقراطي في العراق)، بحوث الندوة العلمية السنوية التي نظمتها الجمعية العراقية للعلوم السياسية، جامعة بغداد، 2009، ص ص59 ـ 60.

فالمثقف ليس بعيداً عن السياسة، فهو يؤثر من خلال توعية الرأي العام أو تقديم النصح والمشورة للنخبة الحاكمة في أمور الاقتصاد والسياسة والعلوم والثقافة، كما يقوم بوظائف عديدة ذات صلة بالعمل السياسي، مثل العلاقات العامة العلمية، ووضع السياسات المناسبة للانتخابات، والحجج التي تبرر القرار السياسي فضلاً عن الحلول العلمية للمشكلات، والاستشارة السياسية المتكاملة، ويعدُّ المثقف منتجَ وعيٍ للجماهير فلديه سلطة معنوية واسعة لأن كل من يتميز بمقدرته على التغيير يمتلك سلطة، ونظراً الى ان المثقف قادرٌ ابداعياً على تغيير تصورات الجماهير لواقعها، فإنه يغيّر الواقع الإجتماعي نفسه حين يغيّر تصورَ الافراد لواقعهم فهو اذاً سلطة، وبمعنى آخر تشكل المعرفة قوة، والقوة سلطة والمثقف يمتلك المعرفة لذا يمتلك السلطة.[45]

(45) أسعاف أحمد، المثقف العربي: إشكالية الدور الفاعل، مجلة جامعة دمشق، العدد (+3 4)، 2004، ص ص-360 362.

والمثقف ما هو إلَّا صاحبُ الادراكِ والوعي العالي، فقد هضم الثقافات بأنواعها، ولاسيما الثقافة السياسية منها، التي تعدُّ حجرَ الزاويةِ الرئيسَ لإدراك آليات الحكم وانشطة السلطة والى اي ايديولوجية تستند، ومن ثم فإن المثقف يكون بصيراً بالعملية السياسية التي تجري في موطنه وهو يعرف الثغرات، فيستطيع ان يحدّد العلاجات والحلول لأن الذي يدرك العلة لاسيما في كيان الدولة ومؤسساتها سيكون قادراً على وضع العلاجات المتاحة لذلك.[46]

(46) جعفر نجم نصر، النخبة المؤدلجة: المثقفالاأكاديمي العراقي والسلط السياسية (1968 ـ 2003)، مجلة العميد، العدد(7)، بغداد، الجامعة المستنصرية، أيلول، 2013، ص199.

كما ان دراسةَ اشكاليةِ العلاقةِ بين المثقف والسلطة أمرٌ مهمٌّ جداً يجب وعيه، ويجب تحريرُ المثقفِ من هذه السلطة عبر تقويته من جهة، وخلق نظم اجتماعية واقتصادية تعطيه التوازن في الواقع البشري من جهة أخرى، وبهذه الطريقة سينطلق المثقفُ في حركته البنائية والنقدية معاً وسيتحرر الفكرُ من أخطرِ القيود التي يعاني منها، ولا يعني ذلك أنه يجب ان يكون المثقف معارضاً للسلطة، انما المقصود ان يتمكن هذا المثقف من الإدلاء بالنقد البّناء لواقعه او المساهمة في تكوين بناء جديد لهذا الواقع لا التقوقع داخل عقدة النقد نفسها، او السعي لتكوين طبقة اجتماعية لها سلطة تسمى بطبقة المعرفة والعلم.[47]

(47) حيدر حب الله، المثقف والسياسة: بين الانتماء السياسي والحياد العلمي، ص7؛على الرابط:
http://www.habbd/ah.com/"include/content/files/13725906_maqatat/28".

والمثقفون طبقات، فمنهم من يستطيع ان يدرك ويفهم ويشارك في الأمور الفكرية او الفنية او الأدبية، ولكن ليس بالضرورة ان يكون مبدعاً في هذه الحقول وهناك المبدع وهناك المثقف العادي والجميع يتدرجون ضمن مفهوم الثقافة او التخصص، يجب ان يكون مرفقاً باطلاع عام على قضايا الفكر، او غيره في مجالات الثقافة ومتابعاً لقضايا العصر وكيفية مجابهتها.[48]

(48) خير الدين حسيب، دور المثقفين العرب في الاصلاح الديمقراطي، مجلة المستقبل العربي، العددان (343)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ايلول/ سبتمبر، 2007، ص7.

وللمثقفِ دورٌ كبيرٌ يجب ان يؤديَه في تحرير المواطن مما عَلِقَ فيه من سلبيات، وهذا الدور يتجلَّى بالدرجة الاولى بإنزال الثقافة من الأدراج العالية، ويضعها في متناول اليد والتداول، وهذا المثقف مؤهل كذلك لإنزال المعارف من عليائها، ونقلها من إطارها النظري الى سياقها العملي وتعميم فائدتها، لتطوير المجتمع وحمايته من الهيمنة الداخلية ومن تعرضه للاحتواء الخارجي، وبلورة اتجاهاته وإخراج النقاش الوطني من الغرف المغلقة الى الفضاء الرحب واعطاء هذا النقاش العلني دورَه ومضمونَه في تشكيل الرأي العام وبلورة الرأي الآخر.[49]

(49) أسد عبيد، الاعلام والديمقراطية: دمشق- القاهرة- موسكو، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2008، ص53.

ويرتبط عمل النخبة بالمجال المعرفي الذي تتحرك داخله ومن خلال تعدد المجالات المعرفية للنخب تستطيع ان تفرض سلم القيم المنشودة داخل المجتمع في علاقاتها ورؤاها ومنطلقاتها وهذه المبادئ او القيم المنشودة تأخذ منحى مناهج العمل المتعلقة بتنظيم شؤون المجتمع التي قد تصطدم بالقناعات المحلية والفرعية للمجتمع، فترفض وتقاوم بدافع حضاري او تقليدي بينما نجد النخب في مجال وعيها تصرُّ على مواقفها وتَعمدُ الى تبريرها فتصبح مهام النخب شيئاً وهمومُ المجتمعِ شيئاً آخر، اي قد يتمُّ الابتعادُ عن مهمة النخب المتمثلة بتوعية المجتمع ونشر قيم الثقافة السياسية الايجابية لتتمَّ المساهمةُ في عملية البناء والتغيير ومواجهة الثقافة السابقة.[50]

(50) عمر جمعة عمران، النخبة وبناء الدولة الديمقراطية، في بحوث الندوة العلمية التي نظمتها الجمعية العراقية للعلوم السياسية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2009، ص114.

كما إن الرأيَ العامَّ الجماهيريَ لا يتفاعل ولا يجد إثارة دون جهود النخبة المثقفة وبالنظر الى الواقع العراقي وما يشهده من تحولات على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، لا بدَّ من الاستعداد المعرفي لذلك بالنسبة للعامة من الناس وتعويد وتدريب الفرد العراقي على مفاهيم الديمقراطية وحقوق الإنسان وقبول الآخر والمجتمع المدني، وهنا يَكْمُنُ دورُ المثقف إذ يجب ان يعمل على صياغة تلك التحولات والتغييرات وفقاً للمصلحة العامة لأمته وان يسعى لإعلام المواطن البسيط بحقوقه السياسية والاقتصادية وتعويده على المطالبة بحقوقه المشروعة بالوسائل العصرية.[51]

(51) زيرفان سليمان البراوري، مصدر سبق ذكره، ص39.

وتحتاج عملية البناء الديمقراطي في العراق الى ترسيخ مقوماتها من خلال بناء الوعي داخل المجتمع والدولة بعدّها قوة دافعة تبرز تأصيلها في الفكر والسلوك والمرجعية الحضارية والثقافية بصورة عامة، اي بمعنى ان البناء الديمقراطي يحتاج الى تأسيس داخل الوعي الفردي والجمعي والى تأسيس داخل المنظومة الثقافية السائدة وأساليب وطرق التنشئة ومؤسسات التعليم والإعلام والتثقيف، حتى يمكن ان تتحول الى قناعة راسخة ومن ثم تترجم الى سلوك سياسي مستمر وعلى النخبة

المثقفة توجيه دفة الحكم تُجاه تأسيس قيم وتقاليد لممارسات فعلية نحو التحول الديمقراطي وتنمية ذلك البناء من خلال المؤسسات الثقافية والتعليمية وتنشيط دور مؤسسات المجتمع المدني.[52]

وعلى المثقف في سياق العولمة ان يكون فاعلاً ايجابياً ومبدعاً في إنضاج الوعي بأهمية الهوية الثقافية المتمايزة والمتجددة كأساس مركزي للتفاعل مع العولمة. تتطلب المهام المستقبلية وعياً بالذات الثقافية وبالآخر الثقافي، وهذا الوعي يتوقف على وعي الذات المثقفة بنفسها على مستوى الإمكانيات والإنجازات وعلى مستوى النقائص والإخفاق في الماضي القريب والحاضر. ويعدُّ الوعي بالذات ضرورياً لإستشراف إبعاد مهام الدور المستقبلي المرغوب فيه المثقف العربي، الذي يتحقق بالضرورة في التفاعلات الجدلية التي تثري كلاً من المستويين وتجعله ممكناً.[53]

كما تساهم النخبة المثقفة في بلورة، وإشاعة ثقافة الحوار وترسيخ قيم التسامح والتصالح فيما بينها من حيث الاختصاصات العلمية المتقاربة او الاختصاصات المتنوعة سواء العلمية منها ام المهنية للوصول الى المقترحات ومبادرات على شكل حوار مفتوح تسوده حريةُ تعبير الرأي والرأي الآخر، بعيداً عن المصالح الذاتية والنقابية والخروج برأي موحد يتبناه الجميع ويتوافق وتطلعات أبناء شعبهم وامتهم.[54]

وينطبق دورُ النخب في التنمية السياسية على مفهوم الإندماج في هيأة اجتماعية تعيّن لها النشاطات والوظائف التي ينبغي اداؤها ويتحدد دورُ النخبة من خلال درجة اندماجها في المجتمع الذي تكون فيه، ويمثل الاندماج والتكامل المجتمعي الجزءَ الأكبرَ من الدور التنموي للنخبة بشكل عام، والسياسي منها بشكل خاص إذ تقوم النخبة بأداء وظيفة تحقيق التكامل والاندماج بين الآراء السياسية والاتجاهات لمعظم القوى داخل المجتمع، بمختلف أنماطها وتأثيرها، بهدف تحقيق استقرار المجتمع وثبات استمرارية أنماط العلاقات البينية بين مؤسساته المختلفة، ويتوقفُ نجاحُ النخبةِ في اداء هذا الجزءِ من الدور على مستوى اندماجها بذاتها مع مؤسسات وبُنى المجتمع الأخرى.[55]

الخـاتـمـة

في نهاية هذه البحث عن دور النخبة السياسية والمثقف السياسي في التحول الديمقراطي في العراق، نجد أن عملية التحول الديمقراطي تحتاج الى وجود

(52) عمر جمعة عمران، النخبة وبناء الدولة الديمقراطية، في بحوث الندوة العلمية التي نظمتها الجمعية العراقية للعلوم السياسية، كلية العلوم السياسية،جامعة بغداد، 2009، ص ص-119 120.
)

53) مخداني نسيمة، المثقف والجامعة في ظل العولمة، مجلة حوليات جامعة الجزائر، العدد (25)، جزء (2)، تموز / يوليو 2014، ص151.

(54) طالب عبد الحسين فرحان الشمري، دور الاعلام في اشاعة ثقافة الحوار وترسيخ قيم التسامح والتصالح، في (مشكلات الاعلام في العراق)، بحوث المؤتمر العلمي السنوي الثاني، جامعة بغداد، كلية الاعلام، نيسان 2008، ص213.

(55) مراد بن سعيد وصالح زياني، النخب والسلطة والايديولوجيا في الجزائر: بين بناء الدولة والتغيير السياسي، مجلة المستقبل العربي، العدد (430)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، كانون الاول/ ديسمبر 2014، ص83

نخب سياسية مثقفة تتحمل مسؤولية تحديد مبادئ الديمقراطية وترسيخها لدى الأفراد. فالنخب الثقافية قد لا تعمل من أجل الوصول الى الحكم في عملها وإنما تعمل على تنمية وخلق ثقافة سياسية ذات أطر فكرية لنمط السلطة والحكم وهي تعمل من خلال منظومة تعاونية مع النخب الاجتماعية الأخرى لتسيير المجتمع وفق هذا النسق الثقافي، إذ يتوجّبُ -على النخب السياسية والثقافية من أجل البناء الديمقراطي -العملُ للدفاع عن الدولة من خلال إثارة مقومات الهوية المشتركة لمواجهة أحداث الخلل في الكيان العام للدولة والمجتمع، وكذلك الدفاع عن هوية المجتمع وحيوية من خلال تحقيق تفاعل إيجابي وبنّاء ومؤثّر مع معطيات التحول الديمقراطي.